

باستخدام كلمة (ركابى). وكذلك قوله وشققت ثيابى، وضربت صحابى، مما يؤكد أن السجع جاء ملتحمًا بالمعنى.

ويؤيد عبد القاهر الجرجاني تصوّر الجاحظ لجودة هذا النموذج، حين يقول: "فقد تبيّن من هذه الجملة أن المعنى المقتضى اختصاص هذا النحو بالقبول، هو أن المتكلم لم يقد المعنى نحو التجنيس والسجع، بل قاده المعنى إليهما، وعبر به الفرقُ عليهما، حتى إنه لو رام تركهما إلى خلافهما مما لا تجنيس فيه ولا سجع لدخل من عقوق المعنى، وإدخال الوحشة عليه، فى شبيهه بما ينسب إليه المتكلف للتجنيس المستكره، والسجع النافر".^(١)

(٥) المهمة الموكلة بالسجع:

تولدت كافة أدوات التعبير نتيجة الإمكانيات الهائلة لاستخدام اللغة وبدخول هذه الأدوات فى نسيج الكلام، وتحويلها من مجرد إمكانيات لغوية إلى وسائل أسلوبية تبيّن لها بعض الأدوار، واتضح الأثر الذى تحدثه فى العملية الإبداعية، وبالممارسة استوعب المبدعون مهامها فى النصوص، بحيث يمكن أن نقول إن كل استدعاء ناجح لأى أداة من أدوات التعبير البليغ هو قرين فهم يقينى لدورها الوظيفى.

وحيث إن أولى مراحل استخدام السجع تجلت فى العصر الجاهلى، فإن ذلك يثير تساؤلًا مفاده: ما سر الحضور الواضح للسجع فى نصوص هذه المرحلة؟ المعروف جيدًا أن صيغة التواصل الأدبى فى المرحلة الجاهلية كانت الأداء الشفوى، وقد امتدت الشفاهية لتمثل صيغة التواصل فى مرحلة ما بعد الإسلام، متزامنة مع الكتابية فى عصور التدوين "فلزمن طويل كان الصوت البشرى أساس الأدب وشرطه ولحضوره فاعلية فى تفسير الأدب الأول. ومن هنا أخذ الأدب القديم [شعرًا كان أو نثرًا] شكله وطابعه"^(٢) فجاء متمسًا بالإيقاعية إذ ركّز على استعمال عناصر تعبيرية ذات خصائص سمعية مساعدة فى سياق الأداء

(١) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ج١، ص ١٠٥-١٠٦.

(٢) الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتى، محمد الماكرى، المركز الثقافى العربى، ط١،

١٩٩١، ص ١٢٧.